

الكشاف

فان قلت : كيف وجده صابرا وقد شكّا إليه ما به واسترحمه ؟ قلت : الشكوى إلى الله عز
وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام : " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله " يوسف :
86 ، وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى
العافية وطلبها فإذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع
اللجأ إلى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه
السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان
يوسوس إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد
بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان . ويروى : أنه قال في مناجاته : إلهي قد
علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهني ما ملك يميني ولم آكل إلا
ومعي يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه .
" واذكر عبدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصر إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار " إبراهيم وإسحق ويعقوب " عطف بيان لعبادنا . ومن
قرأ : عبدنا جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي إسحاق ويعقوب
كقراءة ابن عباس : وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . ولما كانت أكثر الأعمال تباشر
بالأيدي غلبت فقيل : في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة
بالأيدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا : " أولي الأيدي والأبصر
" يريد : أولي الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا
يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزماني الذين لا يقدرّون على أعمال
جوارحهم والمسلوب العقول الذين لا استبصار بهم . وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال
الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين
منهما . وقرء : أولى الأيدي على جمع الجمع . وفي قراءة ابن مسعود : " أولي الأيد " على
طرح الياء والاكتفاء بالكسرة . وتفسيره بالأيد - من التأيد - قلق غير متمكن " أخلصناهم
" جعلناهم لنا خالصين " بخالصة " بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرّها بذكرى الدار شهادة
بذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدور عنها . وقرء : على الإضافة . والمعنى :
بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا
غير . ومعنى " ذكرى الدار " : ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكر الدنيا . أو
تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الحياة كما هو شأن الأنبياء وديدنهم . وقيل :

ذكرى الدار . الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم . فإن قلت : ما معنى " أخلصنهم بخالصة " ؟ قلت : معناه : أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها . أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم في اختيارها . وتعضد الأول قراءة من قرأ : " بخالصتهم " " المصطفين " أي المختارين من أبناء جنسهم . و " الأخيار " جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت .

" واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل منالأخبار " " واليسع " كأن حرف التعريف دخل على يسع . وقرء : والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعمل من اللسع . والتنوين في " وكل " عوض منالمضاف إليه ومعناه : وكلهم من الأخيار .

" هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مئاب جنت عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفكهة كثيرة وشراب وعندهم قصرت الطرف أتراب "